

نزوح 1645 شخصًا من النيل الأزرق مع تصاعد الاشتباكات بين الجيش السوداني والدعم السريع



الثلاثاء 31 مارس 2026 12:20 م

شهدت مدينة قيسان بولاية النيل الأزرق موجة نزوح جديدة لتسلط الضوء على مسار الحرب السودانية التي لم تعد محصورة في جبهات تقليدية معروفة، بل باتت تتمدد إلى مناطق جديدة وتنتج أزمات إنسانية متلاحقة بوتيرة سريعة. إعلان منظمة الهجرة الدولية، الاثنين، نزوح 1645 شخصًا يمثل تطورًا ميدانيًا جديدًا، لكنه في الوقت نفسه يعكس صورة أوسع لحالة الانهيار الأمني والإنساني التي يعيشها السودان منذ اندلاع الحرب في أبريل 2023.

هذا التطور لا يمكن قراءته باعتباره حادثًا محليًا منفصلًا داخل ولاية النيل الأزرق، لأن المعطيات الواردة في بيان المنظمة، إلى جانب سياق الاشتباكات الجارية خلال الأسبوعين الأخيرين، تكشف أن الإقليم دخل مرحلة أكثر هشاشة وخطورة. ومع استمرار القتال بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، إلى جانب عناصر من الحركة الشعبية المتحالفة معها، تتزايد المخاوف من أن تتحول مناطق جديدة في السودان إلى ساحات نزوح وجوع واضطراب ممتد، بما يزيد الضغط على السكان وعلى أي جهود دولية لاحتواء الأزمة.

نزوح 1645 شخصًا من قيسان يفتح فصلًا جديدًا من التوتر في النيل الأزرق

أعلنت منظمة الهجرة الدولية، الاثنين، أن 1645 شخصًا، أي 329 أسرة، نزحوا من مدينة قيسان بولاية النيل الأزرق جنوب شرقي السودان، نتيجة تصاعد الاشتباكات وتدهور الأوضاع الأمنية في المنطقة. هذا الرقم، رغم أنه يبدو محدودًا إذا قورن بإجمالي أعداد النازحين في السودان، يحمل دلالة كبيرة، لأنه يرتبط بمنطقة تشهد تصعيدًا حديثًا نسبيًا، ويؤشر إلى أن دائرة الخطر لم تعد محصورة في ولايات أخرى عرفت الحرب على نحو أوسع خلال الأشهر الماضية.

وأوضحت المنظمة، في بيانها، أن فرق رصد النزوح التابعة لها وثقت مغادرة السكان لمدينة قيسان يوم 25 مارس الجاري، بسبب ما وصفته بـ"تفاقم انعدام الأمن". وتفيد هذه الصياغة بأن السكان لم يغادروا بسبب حادثة عابرة أو اشتباك محدود، بل بفعل حالة ممتدة من فقدان الأمان جعلت البقاء داخل المدينة غير ممكن بالنسبة لعشرات الأسر. كما أن التوثيق الميداني الذي تحدثت عنه المنظمة يضيف طابعًا رسميًا ومحددًا على هذا النزوح، ويؤكد أن التحرك السكاني جرى في ظروف مرتبطة مباشرة بالوضع العسكري.

واتجه النازحون، بحسب البيان، إلى مدينة الروصيرص ومنطقة ود الماحي داخل الولاية نفسها. ويشير هذا المسار إلى أن حركة النزوح بقيت داخل النيل الأزرق حتى الآن، لكن ذلك لا يقلل من خطورة التطور، لأن النزوح الداخلي غالبًا ما يضع أعباء إضافية على مناطق الاستقبال التي تعاني أصلًا من ضعف الخدمات وشح الموارد. كما أن بقاء النازحين داخل الولاية يعني أن المخاطر تظل قريبة منهم، في ظل وضع ميداني وصفته المنظمة بأنه لا يزال متوترًا ومتقلبًا.

وأكدت المنظمة أن المخاوف من موجات نزوح إضافية ما تزال قائمة إذا استمر القتال. وهذه النقطة أساسية، لأن البيان لا يكفي بتسجيل ما حدث، بل يحذر مما قد يحدث لاحقًا. ومعنى ذلك أن موجة النزوح من قيسان قد تكون مجرد بداية لمسار أوسع إذا لم يطرأ تغيير واضح على طبيعة الاشتباكات أو على مستوى السيطرة الأمنية في المنطقة. لذلك فإن أهمية هذا الإعلان لا تكمن فقط في الرقم المعلن، بل في التحذير المباشر من أن الرقم مرشح للزيادة في أي وقت.

اشتباكات الجيش والدعم السريع تدفع النيل الأزرق إلى قلب الحرب السودانية

تأتي هذه التطورات في ظل اشتباكات متصاعدة تشهدها ولاية النيل الأزرق منذ نحو أسبوعين بين الجيش السوداني وقوات الدعم السريع، إلى جانب عناصر من الحركة الشعبية المتحالفة معها. وهذه المعطيات توضح أن ما يجري في الولاية ليس مجرد توتر أمني

محلي، بل امتداد مباشر للحرب السودانية الأشمل التي أعادت تشكيل الخريطة العسكرية والإنسانية في البلاد كما أن تعدد الأطراف المتقاتلة يزيد من تعقيد المشهد ويجعل فرص التهدئة أكثر صعوبة

إن دخول عناصر من الحركة الشعبية المتحالفة مع قوات الدعم السريع في هذا المشهد يضيف بعداً آخر إلى الصراع، لأن ذلك يربط النزاع القائم في النيل الأزرق بتحالفات ميدانية وسياسية تتجاوز الحدود الجغرافية للولاية نفسها وهذا بدوره يفسر سرعة تدهور الأوضاع الإنسانية، إذ إن تعدد القوى المسلحة وتداخل خطوط الاشتباك يؤديان عادة إلى ارتفاع مستويات الخطر على المدنيين، ويقلصان قدرة السكان على التنقل الآمن أو الوصول إلى الخدمات الأساسية

وتكمن خطورة التصعيد في النيل الأزرق في أنه يأتي ضمن سياق أوسع لحرب اندلعت منذ أبريل 2023 على خلفية خلافات حول دمج القوات داخل المؤسسة العسكرية ومنذ ذلك التاريخ، لم تعد الأزمة مجرد صراع على ترتيبات عسكرية أو إدارية، بل تحولت إلى حرب شاملة دفعت السودان إلى واحدة من أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم لذلك فإن ما يحدث في قيسان لا يمكن عزله عن هذا السياق، لأن نزوح السكان هناك هو نتيجة مباشرة لحرب ممتدة فقدت منذ وقت طويل أي طابع محدود أو قابل للاحتواء السريع

كما يعكس استمرار القتال في النيل الأزرق أن رقعة الصراع داخل السودان تتسع بصورة مطردة وهذا الاتساع لا يعني فقط انتقال المعارك من منطقة إلى أخرى، بل يعني أيضاً انتقال آثار الحرب نفسها، من قتل ونزوح وانهيار خدمات وخوف جماعي، إلى مجتمعات جديدة وكلما توسعت رقعة القتال، أصبحت مهمة احتواء الحرب أكثر تعقيداً، لأن الأطراف الدولية أو الإقليمية التي تسعى إلى التهدئة تجد نفسها أمام جبهات متعددة ومصالح متداخلة وميدان سريع التغيير

ومن هذه الزاوية، فإن النيل الأزرق لم تعد مجرد ولاية إضافية في خريطة الاضطراب السوداني، بل تحولت إلى مثال جديد على كيفية انتقال الحرب من مركزها الأول إلى هوامش كانت تبدو أقل عرضة للاشتعال وهذا التحول يزيد المخاوف من أن البلاد تتجه نحو مزيد من التفكك الإنساني والأمني، خاصة إذا استمر كل طرف في الرهان على الحسم العسكري بدل الدخول في مسار جدي لوقف القتال

الكارثة الإنسانية تتسع مع استمرار الحرب وتعثر جهود الاحتواء

لا يفصل نزوح سكان قيسان عن الكارثة الإنسانية الكبرى التي يعيشها السودان منذ اندلاع الحرب فقد أدت هذه الحرب، وفق تقديرات دولية، إلى مقتل عشرات الآلاف من السودانيين، ونزوح نحو 13 مليون شخص داخل البلاد وخارجها وهذه الأرقام تكشف حجم الانهيار الذي أصاب المجتمع السوداني، لأن النزوح لم يعد حالة استثنائية تخص منطقة بعينها، بل أصبح واقعاً يوميًا يطاول ملايين الأسر في مدن وقرى ومخيمات ومناطق حدودية مختلفة

وإلى جانب القتل والنزوح، تفشت المجاعة في مناطق عدة من السودان، ما يعني أن الأزمة تجاوزت حدود الصراع المسلح إلى تهديد مباشر لبقاء السكان وعندما تتقاطع الحرب مع الجوع والنزوح وانهيار الخدمات، فإن النتيجة لا تكون مجرد أزمة إنسانية مؤقتة، بل مساراً طويلاً من التفكك الاجتماعي والاقتصادي والصحي لذلك فإن كل موجة نزوح جديدة، مثل موجة قيسان، لا تضيف أرقاماً فقط، بل تضيف أعباء جديدة إلى بنية منهكة أصلاً

كما أن استمرار القتال في النيل الأزرق يزيد من تعقيد الجهود الدولية الرامية إلى وقف إطلاق النار واحتواء الأزمة الإنسانية المتفاقمة فالمبادرات الدولية تحتاج عادة إلى حد أدنى من الاستقرار النسبي وإلى قنوات اتصال قابلة للعمل، لكن اتساع الجبهات وتعدد القوى المسلحة يجعلان هذا الهدف أكثر صعوبة وكلما ظهرت بؤر نزاع جديدة، تراجعت قدرة المنظمات الدولية والجهات الوسيطة على تثبيت هدنة أو تنظيم استجابة إنسانية فعالة ومستدامة

وفي الوقت نفسه، فإن تحذير منظمة الهجرة الدولية من إمكان حدوث موجات نزوح إضافية يضع المجتمع الدولي أمام إنذار واضح فالمسألة لم تعد تتعلق فقط بمساعدة من نزحوا بالفعل، بل أيضاً بمنع اتساع دائرة النزوح عبر الضغط الجدي لوقف القتال وحماية المدنيين وإذا غاب هذا الضغط، فإن الأرجح أن تتكرر صورة قيسان في مناطق أخرى، وأن تتضاعف أعداد الفارين من منازلهم في بلد يقترب أصلاً من حدود الإنهاك الكامل

خاتمة

تكشف موجة النزوح الجديدة من مدينة قيسان أن الحرب السودانية ما تزال تنتج وقائع أكثر قسوة كلما طال أمدها فخروج 1645 شخصاً من بيوتهم خلال يوم واحد بسبب "تفاقم انعدام الأمن" ليس مجرد حدث ميداني عابر، بل علامة جديدة على أن البلاد تنزلق نحو مزيد من التفكك الإنساني والأمني كما أن ارتباط هذا النزوح باشتباكات متصاعدة في النيل الأزرق يؤكد أن الحرب لم تعد ثابتة الجغرافيا، بل باتت تتوسع وتعيد إنتاج المأساة في مناطق جديدة

وفي المحصلة، فإن ما جرى في قيسان يعكس جوهر الأزمة السودانية الحالية: قتال مستمر، وتهجير متصاعد، وجهود دولية متعثرة، وسكان يدفعون الثمن الأكبر كل يوم ولهذا فإن أي قراءة جادة للمشهد يجب أن تبدأ من المدنيين الذين يغادرون بيوتهم تحت ضغط النار، لأنهم التعبير الأكثر وضوحاً عن فشل الحرب في تحقيق أي استقرار، وعن الحاجة الملحة إلى وقفها قبل أن تتسع المأساة أكثر مما هي عليه الآن